بيان الشرك ووسائله عند علماء الشافعية

تأليف:
د. محمد بن عبدالرحمن آلخميّس

دار الفتح
الشارقة

الطبعة الأولى
١٤١٥ هـ ـ ١٩٩٤م

موافقة وزارة الإعلام والثقافة
رقم اع ش / ١٤١٥
تاريخ ٢٦ / ٦ / ١٩٩٤

الناشـــر
دار الفتح للطباعة والنشر والتوزيع
هاتف المطبعة : ٣٢٢٣٠٨ ـ هاتف المكتبة : ٣٢٢٥٢٤-٦.
فاكس رقم: ٣٢٢٥٢٦-٠٦ ـ ص. ب : ٢٣٤٢٤ الشارقة ـ إ. ع. م

بيان الشرك ووسائله
عنـــد
علمـــاء الشافعية

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـه إلا الله وحـده لاشريك له، وأشهـد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتَّقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون﴾ .

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحـدة وخلق منهـا زوجهـا وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً﴾ .

﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً

يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾ .

أما بعد :

فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد :

فإن للتوحيد آثاراً رائعة واضحة في حياة الإنسان والمجتمع ، وثماراً يانعة لها أجمل التأثير وأعظمه ، **فمنها:**

١ ـ إخراج الإنسان من عبودية غير اللّه :

لأن التوحيد هو تعبيد الإنسان لخالقه ـ سبحانه وتعالى ـ وحده ، والشرك تعبيد الإنسان لمخلوق مثله لا يملك لنفسه ضرّاً ولا نفعاً ولا يملك موتاً ولا حياة ولا نشوراً. التوحيد تحرير لعقل الإنسان من

الخرافات، وتحرير لضميره ونفسه من الذل والخنوع، وتحرير لحياته كلها من تسلط الطغاة والمتألهين، وهذا ما علمه المشركون من معنىٰ (**لاإلـه إلا الله**) فناصبوا الرسل العداء وحاربوهم.

٢ ـ ضبط السلوك والعمل على اتزانه :

لأن المسلم يتحرك في كل أفعاله ولحظات حياته لاكتساب مرضاة الله تعالى، وذلك في كل أحواله، فنفسه غير مشتتة بين آلهة متعددة يحاول إرضاءها كلها، قال ـ تعالى ـ: **﴿ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون ورجلاً سلماً لرجل هل يستويان مثلا﴾**(١)، فالأول هو الذي يعبد آلهة متعددة يتحير في اكتساب رضاها كلها، والثاني لايعبد إلا إلـهاً واحداً.

---

(١) سورة الزمر، الآية: ٢٩.

٣ـ إيجاد النفس الآمنة القوية :

قال تعالى : ﴿وكيف أخاف ماأشركتم ولا تخافون أنكم أشركتم بالله ما لم ينزِّل به عليكم سلطاناً فأي الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون﴾ (١) فالمؤمن دائماً يتوكَّل على الله تعالى ويلتجيء إليه ويعلم أنه مالك الملك ، فيفيض ذلك في نفسه أمناً وثقة بالله وتوكلاً عليه وطمأنينة إليه ، وكيف لا وهو يرى أن البشر لايملكون شيئاً إنما الله تعالى هو مالك الملك وحده ، وانظر إلى قول نوح عليه السلام : ﴿ياقوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكَّلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لايكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا إليَّ ولا

---

(١) سورة الأنعام ، الآيتان : ٨١ ، ٨٢ .

تنظرون﴾[1]. وقال هود عليه السلام لقومه: ﴿فكيدوني جميعاً ثم لاتنظرون إني توكلت على الله ربي وربكم ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها إن ربي على صراط مستقيم﴾[2].

فهذه النفوس وصلت لذلك القدر من الثقة والاطمئنان والأمن بسبب إدراكها لقدرة الله تعالى وعظمته، وحقارة شأن المخلوقين وكونهم ليس لهم من الأمر شيء.

٤ـ إرساء مبدأ المؤاخاة والمساواة:

فالإسلام دين التوحيد، جعل الناس جميعاً خاضعين لربهم - عز وجل -، لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله ولا يستعبد بعضهم بعضاً، إنما كل الناس متساوون في الإنسانية والبشرية، وكل

---

(١) سورة يونس، الآية: ٧١.

(٢) سورة هود، الآيتان: ٥٥، ٥٦.

الموحدين متساوون في الحقوق والواجبات، لا فضل لبعضهم على بعض إلا بالتقوى والعمل الصالح، فلا تمايز باللون، ولا بالجنس، ولا بالمهنة ولا بغير ذلك: ﴿**إن أكرمكم عند الله أتقاكم**﴾[1].

(١) سورة الحجرات، الآية: ١٣.

أضرار الشرك ومفاسده

وبمقابل آثار وثمرات التوحيد هذه نجد مفاسد وأضراراً للشرك تضادها كما على النحو التالي :

١ ـ إهانة الإنسان :

وذلـك بعبـادتـه لغير الله ـ تعالى ـ، مخلوقاً مثله لاينفـع ولايضر، يتخذه معبوداً مطاعاً، وهو مخلوق مثله ليس له من الأمر شيء، بل أحياناً يعبد أشياء أحط منه : كالبقرة، والشجر، والحجر، وغير ذلك، فهل يليق بالإنسان العاقل المكرم أن يكون كذلك، وهل هناك إهانة أشد من ذلك!

٢ ـ تسويغ الخرافات :

وذلك بأن يعتقد الإنسان النفع والضر لغيره من المخلوقـات، وينسـج حولهـا الخـرافـات والأساطير

والخزعبلات، بما لايتفق مع عقل الإنسان ولايسوغ أن يقبله وجدانه.

٣ـ الشرك أظلم الظلم:

كما قال ـ تعالى ـ: ﴿**والكافرون هم الظالمون**﴾ (١). وقال ـ تعالى ـ: ﴿**إنَّ الشرك لظلم عظيم**﴾ (٢). وأي ظلم أعظم من أن يخلقك الله ثم تعبد غيره؟ أو أن يرزقك ثم تشكر غيره؟

وهو ظلم للنفس كذلك لأنه حرمان لها مما فيه سرورها ونعيمها وحياتها من التوحيد. وتحميل لها من العذاب ما لا طاقة لها به: ﴿**وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون**﴾ (٣).

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٤.

(٢) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١١٧.

٤ـ الشرك مبعث المخاوف :

لأن المشرك لاثقة له بالله تعالى ولا توكُّل له عليه، فهو متقلِّب بين الأوهام والخرافات، والخزعبلات، يخاف من كل شيء، يخاف على حياته، على رزقه، على كل شيء ويخاف من كل شيء، فبؤساً لها من حياة!

٥ ـ إشاعة السلبية في الحياة الإنسانية :

فالشرك يجعل من صاحبه معتمداً على غيره من الشفعاء والوسطاء، كما يعتقد النصارى في المسيح عليه السلام، ولايعتمد على نفسه بعد الله تعالى، فيعطل كثيراً من إمكانياته وملكاته.

٦ ـ دخول النار :

فالشرك أعظم الأسباب الموجبة لدخول النار، كما قال تعالى: ﴿**إنه من يشرك بالله فقد حرَّم الله عليه**

الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار﴾[1]

والتوحيد من أعظم أسباب دخول الجنة، إذاً المشرك ليس له مصير إلا النار، لأن ذنبه هذا لاترجى له المغفرة أبداً: **﴿إن الله لايغفر أن يُشرَك به﴾**[2].

فهذه بعض مفاسد الشرك وآثاره السيئة على النفس الإنسانية في دنياها وأخراها، ومما هو معلوم أن الشرك هو أكثر الأشياء التي حذَّر منها القرآن، وأقام البراهين والآيات على بطلانها، وبيَّن القرآن لعن فاعلها والحكم له بالنار على وجه القطع، وذكر القرآن من مفاسد الشرك وآثاره على الإنسان الشيء الكثير، وحذَّر منه بما لا مزيد عليه.

ولهذا فقد أردت أن أبين طرفاً من جهود علماء الشافعية في بيان الشرك ووسائله وصوره وذرائعه وغير

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٧٢.

(٢) سورة النساء، الآية: ٤٨.

ذلك حسبما وقفت عليه من مصادرهم .

والشافعية هم المنتسبون في الفروع إلى الإمام البحر الجبل رأس الطبقة التاسعة والمجدد لأمر الدين على رأس المائتين[1] وهو أحد الأئمة الأربعة المتبوعين في مسائل الفروع، ولد سنة ١٥٠هـ وتوفي ٢٠٤م وقد انتشر مذهبه في العراق والشام ومصر والحجاز واليمن وغير ذلك، وما زال المذهب الرسمي في بعض البلاد الإسلامية إلى اليوم، فرحمه الله وأجزل له المثوبة .

هذا وقد قسَّمت الموضوع إلى أربعة مباحث :

المبحث الأول : في تعريف الشرك عند بعض علماء الشافعية.

المبحث الثاني : في بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية.

---

(١) انظر تقريب التهذيب (٢/١٤٣/٣١)

المبحث الثالث : **في بيان وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية لحماية جناب التوحيد.**

المبحث الرابع : **في بيان نماذج من الشرك حذر منها علماء الشافعية.**

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب جميع المسلمين، وأن يجعله في ميزاننا يوم القيامة، وهو حسبنا ونعم الوكيل، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

تعريف الشرك عند علماء الشافعية

قال الأزهري الشافعي: «قال الله - عز وجل -: مخبرًا عن عبده لقمان الحكيم أنه قال لابنه يابني: ﴿**لاتشرك بالله إن الشرك لظلمٌ عظيم**﴾[1].

والشرك أن تجعل لله شريكًا في ربوبيته تعالى الله عن الشركاء والأنداد، وإنما دخلت الباء في قوله: ﴿**ولا تشرك بالله**﴾، لأن معناه لا تعدل به غيره، فتجعله شريكًا له، وكذلك قوله: ﴿**بما أشركوا بالله ما لم ينزِّل به سلطانًا**﴾[2]. لأن معناه عدل به ومن عدل

---

(١) سورة لقمان، الآية: ١٣.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

بالله شيئاً من خلقه فهو مشرك لأن الله واحد لا شريك له ولا ند ولا نديد» [1].

وقال الراغب الأصبهاني : «الشرك العظيم هو إثبات شريك لله تعالى يقال أشرك فلان بالله وذلك أعظم كفر» [2].

وقال المناوي : «الشرك : إسناد الأمر المختص بواحد إلى من ليس معه أمره» [3].

وقال العلامة علي السويدي الشافعي : في بيان الشرك والتحذير من خطره : «اعلم أعاذني الله وإيَّاك من الشرك والكفر والضلال ، وأمدنا بالتوفيق لما يحبه ويرضاه من الأقوال والأفعال ، أن الشرك يضاد

---

(١) تهذيب اللغة ١٠/١٦ .

(٢) الموطأ ص٤٥٢ .

(٣) التوقف على مهات التعرف ص ٤٢٨ .

التوحيد، فهما لايجتمعان، كما أن الكفر يضاد الإيمان، وأنهما ضدان، فإذا قيل: هذا موحد، فمعناه أنه يعتقد الوحدانية لله وغير مثبتٍ له شركًا، ولايكون موحدًا التوحيد المطلوب حتى يتخلَّى عن كل مافيه شرك للمعبود، وضده المشرك الذي يحصل منه الشرك ولو ببعض أنواعه: بأقواله، أو أحواله، أو أفعاله، أو اعتقاده، أو معاملاته، أو بوفاقه وتحسينه، أو برضاه لقوله أو سماعه... ولما كانت الجاهلية قد أشركوا في عبادتهم ما استحسنوه بفساد عقولهم مقلدين لذلك الضلال المبين من أصولهم فعكفوا على عبادة أصنام، وأوثان، وأشجار، وتماثيل، وقبور، ونُصب، وصخور متبركين بها، راجين شفاعتها عند خالقها، ملتجئين إليها مستمسكين بما زعموه من أنهم محسبون عليها، وقد تشعبت من شجرة هذا الشرك الخبيث فنون ضلالات، وابتدعت من هذا الأصل الباطل فروع

جهالات من التطير، والحلف بما تألهوه، وتعليق الرقىٰ والتولة والتمائم لجلب ودفع ما أرادوه فشركوا بين الخالق والمخلوق بالحب والرجاء والخوف والالتجاء والمنع والعطاء والتقريب والإقصاء ثم لم تزل تعم تلك الجهالة وتشتعل بينهم نيران الضلالة حتى اتخذوا لهم من الأديان ما لم يأذن به الله فسيبوا السوائب، وحموا الحام، ووصلوا الوصائل، ولم يزالوا في جهالة جهلاء، ومخالفة عمياء حتى أرسل الله نبيه المصطفىٰ، ﷺ، مبشراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً. . . فصدع، ﷺ، بالتفريد والتجريد اللذين هما حقيقة التوحيد وحتَّم عليهم توحيده سبحانه عن هذا الشرك، الذي بيَّنه في كتابه المُنزَّل بضرب الأمثال وإقامة البراهين على الوجه البارع المفصَّل، فلذلك ترى القرآن والحديث مشحونين بذكر الشرك والمشركين أكثر من ذكر الكفر والكافرين

وكان التعرض للشرك في ذلك الزمان وبعده في زمن الصحابة والتابعين هو المعروف المشهور وقد بلغ الغاية في الاشتهار والظهور ثم لما اندرست قواعد الشرك باندراس أهله، وظهرت شعائر الدين القويم بظهور فروعه من أصله، لم تكد ترى أحدًا يتعرَّض للشرك وأحواله، ولا يلوث لسانه بذلك القذر في جميع أقواله، فلذلك ترى العلماء قد أطنبوا في أبواب الردة - والعياذ بالله - من ذكر المكفرات، وأعرضوا عن المشركات»(١).

وبعد هذا البيان نلحظ أن الشرك في الألوهية لم يذكر، مع أن توحيد الألوهية هو أصل دين الإسلام، وهو الذي وقعت لأجله الخصومة بين الرسل وأقوامهم، وهو الذي بعثت به جميع الرسل كما قال

(١) العقد الثمين ص١٨ - ١٩.

تعالى: ﴿وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إلـه إلا أنا فاعبدون﴾ [1].

(1) سورة الأنبياء، الآية: ٢٥.

المبحث الثاني

بيان أنواع الشرك عند بعض علماء الشافعية

قال الراغب الأصبهاني : «وشرك الإنسان في الدين ضربان أحدهما: الشرك العظيم وهو إثبات شريك لله تعالى وذلك أعظم كفر. . . والثاني: الشرك الخفي والنفاق»[1] .

قال العلامة علي السويدي الشافعي : اعلم أن الشرك إما أن يكون في الربوبية وإما في الألوهية، والثاني إما أن يكون في الاعتقاد وإما في المعاملة الخاصة برب العباد، وهذا الثاني الذي يتفرع منه

(١) المفردات ص٤٥٢ .

شرك العبادة منقسم إلى أقوال وأفعال، وفي كل منهما يكون الشرك الأكبر غير المغفور، والأصغر المغفور، وكلامنا الآن في الشرك الأكبر الذي أوجب الله سبحانه علينا التحرز منه، ولا يكمل توحيد العبد إلا بعد معرفته الشرك بأنواعه، وأسبابه كما **قال الشاعر**:

عرفت الشر لا للشر لكن لتوقيه

ومن لا يعرف الخير من الشر يقع فيه

ولأجل الحذر من هذا الخطر كان، ﷺ، يستعيذ منه مع أنه أعلم الناس بالله، وأشدَّهم خشية من الله، كما ورد عنه، ﷺ، في قوله: «**اللهم إنِّي أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا لا أعلم**» إلى غير ذلك من دعائه، وخاصة ندائه، وقد استعاذ منه أيضاً خليل الله إبراهيم عليه السلام في قوله: ﴿**واجنبني وبنيَّ أن نعبد الأصنام**﴾ وكان أبناؤه أنبياء مرسلين، وإذا كان

هذا خاتم النبيين وهذا خليل رب العالمين قد استعاذا منـه، وطلبا التحرُّز بالله عنه، وخشيا وقوعهما فيه، وهم أفضل الرسل، فكيف بغيرهما كائنًا من كان . . . فالشرك في الربوبية لم يقل به أحد من الكفّار، ولا قال أحد بوجود خالقين واجبي الوجود، وإن حصل من بعض الكفّـار التعطيل في الربوبية كتعطيل فرعون وأضرابه، وأما الشرك في الألوهية فهو أنواع بحسب تألُّه المتألهين، ولم يقل أحد أن للعالمين إلـهين متماثلين متكافئين إلا الثنوية، وأما الوثنية العابدون ماسوى الله فإنهم لايقولون بالتعدد وإن أطلقوا عليها إسم الآلهة»[1] .

وقال في موضع آخر : «وجماع الأمر أن الشرك نوعان: شرك في الربوبية بأن يجعل لغيره معه تدبيرا

---

(١) العقد الثمين في بيان مسائل الدين (ص١١٩، ١٢٠).

وشرك في الألوهية بأن يدعو غيره دعاء[*] عبادة أو دعاء مسألة [(١)].

وقال أحمد بن حجر آل بو طامي الشافعي : مقراً كلام شيخ الإسلام ابن تيمية : «الشرك نوعان : أكبر وأصغر، فمن خلص منهما وجبت له الجنة ، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة ، ومن خلص من الأكبر ولكن كثر

---

(١) المصدر نفسه (ص ١٢٣).

(*) من الأدلة على أن دعاء غير الله شرك قوله تعالى : ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [سورة غافر، الآية : ٦٠]. وقوله تعالى : ﴿وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله وهبنا له إسحاق ويعقوب﴾ [سورة مريم، الآيتان : ٤٨ ، ٤٩]. فالدعاء عبادة وصرفه لغير الله إشراك بالله تعالى غيره.

الأصغر حتى رجحت به سيئاته دخل النار، فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر، والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به. . . فالشرك الأكبر: كالسجود[1] والنذر لغير الله[2]، والأصغر: كالرياء[3] والحلف بغير الله[4] إذا لم يقصد تعظيم المخلوق كتعظيم الله»[5].

---

(١) ودليل على أن السجود لغير الله تعالى شرك، قال الله تعالى: ﴿**فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين**﴾ [سورة الحجر، الآيتان: ٩٨، ٩٩].

وقول النبي، ﷺ: «**لو كنت آمراً أحداً بالسجود لأحد غير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها**».

(٢) ودليل النذر قوله تعالى: ﴿**ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٩].. وقوله تعالى: ﴿**يوفون بالنذر**﴾ [سورة الإنسان، الآية: ٧].

(٣) ودليل الرياء قوله تعالى: ﴿**يراءون الناس ولا يذكرون الله إلا قليلا**﴾ [سورة النساء، الآية: ١٤٢].

(٤) ودليل الحلف قوله، ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد كفر وأشرك**».

(٥) تطهير الجنان والأركان عن درن الشرك والكفران (ص ٣٨، ٣٩).



المبحث الثالث

وسائل الشرك التي حذر منها علماء الشافعية حماية لجناب التوحيد

جاء عن الإمام الشافعي : وأتباعه النهي عن ماهو من وسائل الشرك كتجصيص القبور[1] وتعليتها[2]، والبناء عليها[3]

---

(١) لما أخرجه مسلم وغيره قال: «نهى رسول الله ﷺ **عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءً**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وكثير من أتباعه في هذه القضايا راجع المهذب ١/٤٥٦ وروضة الطالبين ١/٦٥٢ والمجموع ٥/٢٦٦. والسراج الوهاج ١/١١٤، وشرح مسلم للنووي ٧/٣٧، ٣٨ والعقد الثمين ص١٨٦.

(٢) ولمعرفة موقف الشافعية انظر: روضة الطالبين ١/٦٥٢ والزواجر ١/١٩٥.

(٣) لمعرفة موقف الشافعي رحمه الله تعالى وأتباعه انظر المهذب ١/٤٥٦، روضة الطالبين ١/٦٥٢، والمجموع ٥/٢٦٦ والسراج الوهاج ١/١١٤، وشرح مسلم للنووي ٧/٣٠٧.

والكتابة عليها[1]، وإسراجها[2] واتخاذها مساجد[3]، والصلاة إليها[4]، واستقبالها

---

(١) لما أخرجه أبو داود والترمذي وغيرهما من حديث جابر أن النبيَّ ﷺ: «**نهى أن تجصص القبور وأن يكتب عليها**» ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم ١/٢٧٨ روضة الطالبين ١/٦٥٢، المهذب ١/٤٥١، والمجموع ٥/٢٦٦، والسراج الوهاج ١/١١٤ والعقد الثمين ص١٨٦.

(٢) لقول النبي ﷺ: «**لعن الله زوارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج**».
ولمعرفة موقف الشافعية انظر الزواجر ١/١٩٤ فتح المجيد ص١٨٦.

(٣) قال النبي، ﷺ: «**لعنة الله على اليهود والنصارىٰ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد يحذر ما صنعوا**». متفق عليه.
وقال: «**ألا إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد إني أنهاكم عن ذلك**». أخرجه مسلم وغيره، ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه، انظر: الأم ١/٢٧٨، شرح مسلم للنووي ٥/١١ ـ ١٤ والزواجر ١/١٩٤.

(٤) لما أخرجه مسلم وغيره أن النبي ﷺ، قال: «**لا تجلسوا على القبور ولا تصلوا عليها**». ولمعرفة موقف الإمام الشافعي وأتباعه انظر: الأم ١/٤٦، وشرح مسلم للنووي ٧/٣٨، والزواجر ١/١٩٤.

للدعاء[1] والطواف بها[2] والقعود عليها[3] وتقبيلها ومسحها باليد[4]، وأن يضرب عليها مظلة[5]، أو أن

---

(١) تقدم ذكر الدليل في الفقرة السابقة ولمعرفة موقف الشافعية، راجع الموضوع ٨/٢٥٧.

(٢) قال تعالى: ﴿**وليطوفوا بالبيت العتيق**﴾. [سورة الحج، الآية: **٢٩**]، فالطائف بقبر إنما يشبهه في الحقيقة ببيت الله الحرام الذي يطوف به المسلمون.

ولمعرفة موقف الشافعية راجع المجموع ٨/٢٥٧، الزواجر ١/١٩٤، وتطهير الجنان ص٣٧.

(٣) لما أخرجه مسلم وغيره عن جابر قال: «**نهى رسول الله ﷺ عن تجصيص القبر وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه بناءً**»

ولمعرفة موقف الشافعية انظر شرح مسلم للنووي ٧/٣٧.

(٤) من المعروف أن الله تعالى لم يشرع لنا تقبيل بقعة معينة سوى الحجر الأسود، ولم يشرع لنا مسح شيء واستلامه سوى الحجر والركن اليماني، أما فعل هؤلاء عند القبور فهو من الغلو الموقع في الشرك والبدع الغليظة لأنه مساواة بين المشاعر المقدسة وبين القبور، وهذا فعل من ضلوا ويحسبون أنهم مهتدون.

ولمعرفة موقف الشافعية، انظر المجموع ٨/٢٥٧.

(٥) تقدَّم ذكر الدليل في الفقرات السابقة. ولمعرفة موقف الشافعية انظر: المجموع ٥/٢٦٦.

يقول: والله وحياتك[1] أو يقول ماشاء الله وشئت[2].

وقال الشافعي : «وأكره أن يبنى على القبر مسجد وأن يسوىٰ أو يصلىٰ عليه وهوغير مسوى أو يصلى إليه»[3].

قال الإمام الشافعي رحمه اللّه تعالى : «يكره أن يجصص القبر وأن يكتب عليه اسم صاحبه، أو غير ذلك، وأن يبنى عليه»[4].

---

(١) لقول النبي ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**». انظر: تفسير ابن كثير ١/١٠١.

(٢) لقول النبي، ﷺ: «**أجعلتني لله ندًا**»، لمن قال له «ماشاء الله وشئت». انظر: تفسير ابن كثير الشافعي ١/١٠١.

(٣) الأم ١/٢٧٨ ولعله لايقصد بالتسوية تسوية القبر بالأرض فإنها مأمور بها لكن لعله يقصد جعل القبر مستوى الأسطح والحواف وغير ذلك بحيث لايكون فيه نتوءات ولا بروز والله أعلم.

(٤) المجموع ٥/٢٦٦.

وقال أيضا : «ورأيت من الولاة من يهدم مابني فيها ولم أر الفقهاء يعيبون عليه ذلك ولأن في ذلك تضييقاً على الناس»(١) . «وأكره أن يعظم مخلوق حتى يجعل قبره مسجداً مخافة الفتنة عليه وعلى من بعده من الناس»(٢) .

وقال النووي : «ويكره تجصيص القبر والبناء والكتابة عليه ولو بني في مقبرة مُسبّلة هدم»(٣) .

وقال ابن حجر المكي الهيتمي : «الكبيرة الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة والثامنة والتسعون اتخاذ القبور مساجد، وإيقاد السرج عليها، واتخاذها أوثاناً، والطواف بها، واستلامها،

---

(١) المجموع ٥/٢٦٦ .

(٢) المهذب ١/٤٥٦ .

(٣) السراج الوهاج ١/١١٤ .

والصلاة إليها . . . **ثم قال**: تنبيه: عُدّ هذه ستة من الكبائر وقع في كلام بعض الشافعية، كأنه أخذ ذلك مما ذكرته من هذه الأحاديث ووجه أخذ القبر مسجداً منها واضح لأنه - يعني النبي، ﷺ، لعن من فعل ذلك، وجعل من فعل ذلك بقبور صلحائه شر الخلق عند الله يوم القيامة، ففيه تحذير لنا كما في رواية: «**يحذر ماصنعوا**»[1] أي يحذر أمته بقوله لهم ذلك من أن يصنعوا كصنع أولئك، فيلعنوا كما لعنوا، واتخاذ القبر مسجداً، معناه الصلاة عليه أو إليه، وحينئذ فقوله: والصلاة إليهامكرر إلا أن يراد باتخاذها مساجد الصلاة عليها فقط، نعم إنما يتجه هذا الأخذ إن كان

---

(١) البخاري ٧/٧٤٧ ح٤٤٤٣ في المغازي باب مرض النبي ﷺ، مسلم ١/٣٧٧، ح٥٣١ في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عبيدالله بن عبدالله عن عائشة وابن عباس مرفوعاً.

القبر معظماً من نبي أو ولي كما أشارت إليه الرواية: «**إن كان فيهم الرجل الصالح**[1] . . . » ومن ثمَّ قال أصحابنا: تحرم الصلاة إلى قبور الأنبياء والأولياء . . . . **ومثلها مثل**: الصلاة عليه، والتبرك والإعظام، وكون هذا الفعل كبيرة ظاهر من الأحاديث المذكورة، وكأنه قاس على ذلك كل تعظيم للقبر: كإيقاد السرج عليه تعظيماً، له وتبركاً به، والطواف به كذلك، وهو أخذ غير بعيد سيما وقد صرَّح في الحديث المذكور آنفاً بلعن من اتخذ على القبر سرجاً، وأما اتخاذها أوثاناً فجاء النهى عنه بقوله، ﷺ: «**لا تتخذوا قبري وثناً يعبد بعدي**»[2] أي لا

---

(١) مسلم ١/٣٧٥-٣٧٦ ح٥٢٨ في المساجد ومواضع الصلاة باب النهي عن بناء المساجد على القبور من حديث عائشة رضي الله عنها مرفوعًا.

(٢) أخرجه بنحو هذا اللفظ أحمد ٢/٢٢٦ من حديث سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة مرفوعاً ومالك مرسلاً (١/١٧٢) ح٨٥ وعبدالرزاق =

تعظموه تعظيم غيركم لأوثانهم بالسجود له أو بنحوه إلى أن قال: فإن أعـظم المحرَّمات وأسباب الشرك الصـلاة عنـدهـا واتخـاذها مساجد أو بناءها عليها والقـول بالكـراهة محمول على غير ذلك إذ لا يظن بالعلماء تجويز فعــل تواتــر عن النبي، ﷺ، لعن فاعله، ويجب المبادرة لهدمها وهدم القباب التي على القبور إذ هي أضر من مسجد الضرار لأنها أسست على معصية الرسول، ﷺ، لأنه نهى عن ذلك وأمر، ﷺ، بهدم القبور المشرفة وتجب إزالة كل قنديل أو السراج على القبر ولا يصح وقفه ونذره»[1].

وقال النووي: «ولايجوز أن يطاف بقبره، ﷺ، ويكره لصاق البطن والظهر بجدار القبر قاله أبو عبيد

= في المصنف مرسلاً (٨/٤٦٤) من طريق صفوان بن سليم عن سعيد بن أبي سعيد المهري.

(١) الزواجر عن اقتراف الكبائر. ١/١٩٥.

الله الحليمي وغيره، **قالوا** ويكره مسحه باليد وتقبيله بل الأدب أن يبعد منه كما يبعد منه من حضره في حياته، ﷺ.

هذا هو الصواب الذي قاله العلماء وأطبقوا عليه ولا يغتر بمخالفة كثير من العوام وفعلهم كذلك فإن الاقتداء والعمل إنما يكون بالأحاديث الصحيحة وأقوال العلماء ولا يلتفت إلى محدثات العوام وغيرهم وجهالاتهم.... ومن خطر بباله أن المسح باليد ونحوه أبلغ في البركة فهو من جهالته وغفلته لأن البركة إنما هي فيما وافق الشرع وكيف يبتغي الفضل في مخالفة الصواب»[1].

وقال البغوي: «يكره أن يضرب على القبر مظلة لأن عمر - رضي الله عنه - رأى مظلة على قبر فأمر

---

(١) المجموع ٨/٢٥٧ - ٢٥٨.

برفعها وقال دعوه يظله عمله» [1].

وجاء في المنهاج وشرحه لابن حجر ما ملخصه :

«ويكره تجصيص القبر والبناء عليه . . . والكتابةعليه للنهي الصحيح عن الثلاثة، سواءً كتابة اسمه وغيره في لوح عند رأسه أو في غيره، نعم بحث الأذرعي حرمة كتابة القرآن للامتهان بالدوس والتنجيس بصديد الموتىٰ عند تكرار الدفن ووقع المطر وندب كتابة اسمه لمجرد التعريف به على طول السنين لاسيما بقبور الأنبياء والصالحين. . . . **قال**: ليس العمل عليه الآن فإن أئمة المسلمين من المشرق للمغرب مكتوب على قبورهم، فهو عمل قد أخذ به الخلف عن السلف ويرد بمنعه هذه الكلية وبفرضها فالبناء على قبورهم أكثر من الكتابة عليها في المقابر المسبلة

---

(١) المجموع ٥/٢٦٦.

كما هو مشاهد لاسيما بالحرمين ومصر ونحوهما وقد علموا بالنهي عنه، فكذا هي، فإن قلت: هو إجماع فعلي وهو حجة كما صرَّحوا به قلت: ممنوع بل هو أكثري إذ لم يحفظ ذلك حتى عن العلماء الذين يرون منعه، وبفرض كونه إجماعًا فعليًّا فعمل حجيته كما هو ظاهر عند صلاح الأزمنة بحيث ينفذ فيها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد تعطَّل ذلك منذ أزمنة، ولو بني نفس القبر لغير حاجة مما مر كما هو ظاهر **إلى أن قال**: وقد أفتى جمع بهدم كل مابقرافة[1] مصر من البناء حتى قبة إمامنا الشافعي - رضي الله عنه - التي بناها بعض الملوك، وينبغي لكل أحد هدم ذلك ما لم يخش منه مفسدة فيتعين الرفع للإمام[2].

وقال البيضاوي: كما في حاشية السيوطي على سنن

(١) هي المكان الذي يقبر فيه.

(٢) كما في العقد الثمين ص١٨٦.

النسائي : «لما كانت اليهود والنصارى يسجدون لقبور أنبيائهم ويتوجهون إليها تعظيماً لشأنهم ويجعلونه قبلة يتوجهون في الصلاة والدعاء نحوها واتخذوها أوثاناً لعنهم الله ومنع المسلمين من مثل ذلك وأصل الشرك إنما حدث من تعظيم القبر والتوجه إليه»[1].

وقال السويدي الشافعي : فتراهم يرفعونها فوق كل رفيع ، ويكتبون عليها الآيات القرآنية ، ويعملون لها التوابيت من خشب الصندل والعاج ، ويضعون فوقها ستور الحرير المحلاة بالذهب العقيان والفضة الخالصة ، ولم يرضهم ذلك حتى أداروا عليها شبابيك من الفضة وغيرها ، وعلقوا عليها قناديل الذهب ، وبنوا عليها قباباً من الذهب أو الزجاج المنقوش ، وزخرفوا أبوابها ، وجعلوا لها الأقفال من الفضة وغيرها

---

(١) حاشية سنن النسائي ٢ / ٤٢ .

خوفاً عليها من اللصوص، كل ذلك مخالف لدين الرسل، وعين المحادَّة لله ورسوله، فإن كانوا متبعين فلينظروا إليه، ﷺ، كيف كان يفعل بأصحابه الذين هم أفضل الأصحاب، وينظروا إلى قبره الشريف وما عملت الصحابة فيه»[1].

وقال النووي: «إنما نهىٰ النبي، ﷺ، عن اتخاذ قبره وقبر غيره مسجداً خوفا من المبالغة في تعظيمه والافتتان به، فربما أدّى ذلك إلى الكفر كما جرىٰ لكثير من الأمم الخالية، ولما احتاجت الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين والتابعون إلى الزيادة في مسجد رسول الله، ﷺ، حين كثر المسلمون، وامتدت الزيادة إلى أن دخلت بيوت أمهات المؤمنين فيه ومنها حجرة عائشة رضي الله عنها فدفن رسول الله، ﷺ، وصاحبيه أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما -

(١) العقد الثمين ص١٨٥.

بنوا على القبر حيطاناً مرتفعة مستديرة حوله لئلا يظهر في المسجد ويؤدِّي إلى المحذور ثم بنوا جدارين من ركني القبر الشماليين وحرفوهما حتى التقيا حتى لايمكن أحد من استقبال القبر[1].

وجاء في الباعث في إنكار البدع والحوداث :

ص١٠٣ : «فانظروا رحمكم الله أينما وجدتم سدرة أو شجرة يقصدها الناس ويعظمون من شأنها ويرجون البراء والشفاء من قبلها وينطون بها المسامير والخرق فهى ذات أنواط فاقطعوها» .

شبهة وجوابها : لقد استدل القبورية على جواز بناء المساجد على القبور بقصة أصحاب الكهف حيث اتخذ قومهم عليهم مسجداً وأجاب عن هذه الشبهة الحافظ ابن كثير بجوابين.

---

(١) شرح صحيح مسلم ١٣/٥ ـ ١٤ .

الأول: أن هذا عمل الكفار والمشركين فليس بحجة.

والثاني: على فرض أن هذا عمل المسلمين ولكن هم غير محمودين في هذا العمل[1].

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣/ ٧٨.

المبحث الرابع

نماذج من الشرك
التي حذَّر منها علماء الشافعية

جاء عن الإمام الشافعي رحمه الله تعالى : وبعض أتباعه النهي عن أنواع من الشرك الأكبر والأصغر: كالدعاء والاستغاثة بغير الله[1]

---

(١) لقوله تعالى: ﴿إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم﴾ [سورة الأنفال، الآية: ٩]. ولقوله تعالى: ﴿وقال ربكم ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنم داخرين﴾ [سورة غافر، الآية: ٦٠]. وقوله تعالى: ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله من لايستجيب له إلى يوم القيامة وهم عن دعائهم غافلون﴾ [سورة الأحقاف، الآية: ٥]. وقول النبي، ﷺ: «إنَّ الدعاء هو العبادة».
ولمزيد من التعرُّف على أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام لابن حجر المكي ص٩٥، ٧١ والعقد الثمين ص وتطهير الجنان ص٣٨. =

= **وأما ماحكىٰ بعضهم عن الشافعي أنه قال**: «إذا نزلت بي شدةأجيء فأدعو عند قبر أبي حنيفة فأجاب» **قال الألوسي الحنفي**: هذا كذب معلوم كذبه عند من له معرفة بالنقل فإن الشافعي لما قدم بغداد لم يكن ببغداد قبر ينتاب للدعاء عنده البتة، بل ولم يكن عند عهد الشافعي معروفًا وقد رأىٰ الشافعي بالحجاز واليمن والشام والعراق ومصر من قبور الأنبياء والصحابة والتابعين من كان أصحابها عنده وعند المسلمين أفضل من أبي حنيفة وأمثاله من العلماء، فما باله لم يتوخ الدعاء إلا عنده؟ **ثم أصحاب أبي حنيفة** الذين أدركوه مثل أبي يوسف ومحمد وزفر والحسن بن زياد وطبقتهم لم يكونوا يتحرون الدعاء لا عند قبر أبي حنيفة ولا عند قبر غيره، **ثم إن الشافعي** قد صرَّح في بعض كتبه بكراهة تعظيم القبور خشية الفتنة بها، وإنما يضع مثل هذه الحكايات من يقل علمه ودينه وإما أن يكون المنقول من هذه الحكايات عن مجهول لايعرف ونحن لو روي لنا مثل هذه الحكات المسيبة أحاديث عمن لاينطق عن الهوى لما جاز التمسك بها حتى تثبت بطرق أهل الحديث فكيف بالمنقول عن غيره. **ومنها** ما قد يكون صحابي قاله أو فعله باجتهاد يخطيء ويصيب أو قاله بشروط وقيود كثيرةعلى وجه لا محذور فيه فحرِّف النقل عنه كما أن النبي ﷺ: لما أذن في زيارة القبور بعد النهي فهم المبطلون أن ذلك هو الزيارة التي يفعلونها من حجها للصلاة عندها والاستغاثة بها ثم سائر هذه الحجج دائرة بين نقل لايجوز إثبات الشرع به، أو قياس لايجوز استحباب العبادات بمثله مع العلم بأن الرسول، ﷺ، لم يشرعها». فتح المنان ص٣٧٢ - ٣٧٣.

والسجـود لغير الله[1]، والركوع لغير الله[2]، والنذر لغـير الله[3]، والذبح لغير الله[4] أو اعتقاد أن أحداً يعلم

(١) لقـولـه تعـالى: ﴿يـا مريم اقنتي لربـك واسجـدي واركعي مع الراكعين﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٤٣]. ولمعرفة موقف الشافعية انظر روضة الطالبين ٧/٢٨٣، ٢٨٤، والجمل على شرح المنهج ٥/١٢٤ ومغني المحتـاج ٤/١٣٦، والإعـلام بقواطع الإسلام ٩٥، ٦٣، ١٩، ٩٣، ٩٨، ٢٠، ٢١، وتطهير الجنان ص٣٧.

(٢) لقـولـه تعالى: ﴿يامريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين﴾ [سـورة آل عمران، الآية: ٤٣]. ولمعرفة موقف أئمة الشافعية. انظر: الجمل على شرح المنهج ٥/١٢٤.

(٣) لقـولـه تعالى: ﴿وليوفوا نذورهم﴾ [سورة الحج، الآية: ٢٩]. فالنذر عبادة لا تنبغي إلا لله تعالى.

ولـمزيـد التعـرف على أقوال الشافعية انظر: المجموع ٨/٤٣٥، ومغني المحتـاج ٤/٣٧١، وتـطـهـير الجنـان ص٣١، ٣٧، والعقـد الثمـين ص٢١٩، وفتح المجيد ص٢١٣، وقرة عيون الموحدين ص٩٦، ٨٦.

(٤) لقـولـه تعـالى: ﴿فصل لربك وانحر﴾ [سورة الكوثر، الآية: ٢] وقوله تعالى: ﴿قل إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين﴾ [سورة الأنعام، الآية: ١٦٢].

فالذبح عبادة لاتنبغي إلا لله وعلى إسم الله ولايجوز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه =

الـغـيـب[1] والحـلـف بغـيـر الله[2] وقـول ما شاء الله وشئت[3]، واعتقاد أن السحر له تأثير بذاته[4].

= **ولمعرفة أقوال أئمة الشافعية** انظر: روضة الطالبين ٧/٢٨٤، والزواجر ١/١٦٧، والعقد الثمين ص٢٢٢، وتطهير الجنان ص٣٧.

(١) لقوله تعالى: ﴿**عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدًا**﴾ [سورة الجن، الآية: ٢٦]. وقوله تعالى: ﴿**قل لايعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله**﴾ [سورة النمل، الآية: ٦٥].

ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الإعلام بقواطع الإسلام ص: ٦٩، ٧١، العقد الثمين ص البغوي ٤/٤٠٥ـ ٤٠٦.

(٢) لقوله، ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**» وفي لفظ: «**فقد كفر**».

ولمعرفة أقوال الشافعية: انظر الأم ٧/٦١ المجموع ص١٩، ٢٢٧ ـ ٢٢٨، شرحالسنة ١٠/٩، إحكام الأحكام لابن دقيق العيد ٤/١٤٤، حلية العلماء ٧/٢٤٦، ومغني المحتاج ٤/٣٢٤، والجمل على شرح المنهج ٥/٢٨٨، وفتح الباري ١١/٥٣٠ ـ ٥٣١.

(٣) لقول النبي، ﷺ: «**أجعلتني لله ندًّا؟ قل ما شاء الله وحده**» وذلك لمن قال له ماشاء الله وشئت.

ولمعرفة موقف الشافعية انظر: شرح السنة ١٢/٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٤) لقوله تعالى: ﴿**فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم**﴾ [سورة الأعراف، الآية: ١١٦] وقوله تعالى: ﴿**إنما صنعوا كيد** =

قال الشافعي : «ومن حلف بشيء غير الله جل وعز مثل أن يقول الرجل: والكعبة، وأبي، وكذا وكذا مكان، فحنث فلا كفارة عليه، ومثل ذلك قوله: لعمري لا كفارة عليه، وكل يمين بغير الله فهي مكروهة منهي عنها من قبل قول رسول الله، ﷺ: «**إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم فمن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليسكت**»(١) أخبرنا ابن عيينة، **قال:** حدَّثنا الزهري، قال: حدَّثنا سالم عن أبيه قال: سمع النبي، ﷺ، عمر يحلف بأبيه فقال: «**ألا إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم** قال عمر - رضي الله

= ساحر ولا يفلح الساحر حيث أتى﴾ [سورة طه، الآية: ٦٩]. وانظر موقف الشافعية في كتاب الإعلام بقواطع الإسلام ص٩٨.

(١) أخرجه البخاري (١١/ ٥٣٠)ح (٦٦٤٦) في الأيمان والنذور باب لا تحلفوا بآبائكم، ومسلم في الأيمان (١٢٦٦/٣) ح (١٦٤٦) باب النهي عن الحلف بغير الله، والنسائي (٧/ ٤) في الأيمان باب الحلف بالآباء وأبو داود (٥٦٩/٣) ح٣٢٤٩، في الأيمان باب في كراهية الحلف.

عنه ـ والله ما حلفت بها بعد ذلك»[1] **وقال الشافعي ـ** رحمه الله ـ فكل من حلف بغير الله كرهت له وخشيت أن تكون يمينه معصية»[2].

وقال ابن حجر الهيتمي المكي : «الكبيرة السابعة والستون بعد المائة: الذبح باسم غير الله على وجه لايكفر به، بأن لايقصد تعظيم المذبوح له، كنحو التعظيم بالعبادة والسجود إلى أن قال: وجعل أصحابنا مما يحرم الذبيحة أن يقول باسم الله واسم محمد أو محمد رسول الله بجر اسم الثاني أومحمد إن عرف النحو فيما يظهر أو يذبح كتابي لكنيسة أو

---

(١) أخرجه أبو داود ٣/ ٥٧٠ح ٣٢٥٠، في الأيمان باب في كراهية الحلف بالآباء، والنسائي كتاب الأيمان باب الحلف بالآباء (٧/٤) ح (٢٧٦٦) وابن ماجه في الكفارات (١/٦٦٧) ح (٢٠٩٤) من رواية سالم عن أبيه عن عمر رضي الله عنه.

(٢) كتاب الأم ٧/ ٦١.

لصليب أو لموسىٰ أو لعيسىٰ ومسلم لكعبة أو لمحمد، ﷺ، أو تقرب بالسلطان أو غيره أو للجن فهذا كله يحرم المذبوح وهو كبيرة»[1].

وقال الرافعي في شرح المنهاج: «وأما النذر للمشاهد التي على قبر ولي أو شيخ أو على اسم من حلها من الأولياء أو تردد في تلك البقعة من الأولياء والصالحين فإن قصد الناذر بذلك ـ وهو الغالب أو الواقع قصود العامة ـ تعظيم البقعة أو المشهد أو الزاوية أو تعظيم من دفن بها أو نسبت إليه أو بنية على اسم، فهذا النذر باطل غير منعقد فإن معتقدهم أن لهذه الأماكن خصوصيات ويرون أنها مما يدفع بها البلاء، ويستجلب بها النعماء، ويستشفىٰ بالنذر لها من الأدواء حتى إنهم ينذرون لبعض الأحجار لما قيل

---

(١) الزواجر ١/٢٨٤ ـ ٢٨٥.

لهم إنه استند إليها عبد صالح ، وينذرون لبعض القبور السُرج والزيت، ويقولون: القبر الفلاني أو المكان الفلاني يقبل النذر، يعنون بذلك أنه يحصل به الغرض المأمول من شفاء مريض: أو قدوم غائب، أو سلامة مال، وغير ذلك من أنواع نذر المجازات، فهذا النذر على هذا الوجه باطل لاشك فيه، بل نذر الزيت والشمع ونحوهما للقبور باطل مطلقاً، ومن ذلك نذر الشموع الكثيرة العظيمة وغيرها لقبر الخليل، عليه السلام، ولقبر غيره من الأنبياء والأولياء، فإن الناذر لايقصد بذلك الإيقاد على القبر إلا تبركاً وتعظيماً ظاناً أن ذلك قربة، فهذا مما لا ريب في بطلانه، والإيقاد المذكور محرَّم سواءً انتفع به هناك منتفع أم لا»[1].

---

(١) فتح المجيد ص ٢١٣.

وقال النووي : «إذا نذر المشي إلى مسجد غير المساجد الثلاثة، وهي: المسجد الحرام، والمدينة، والأقصىٰ لم يلزمه ولا ينعقد نذره عندنا»[1].

وقال ابن حجر المكي في شرح المنهاج : «لا يقول باسم الله واسم محمد» قال ابن حجر: يحرم عليه ذلك للتشريك لأن من حق الله تعالى أن يجعل الذبح باسمه فقط كما في اليمين باسمه نعم إن أراد الذبح باسم الله والتبرك باسم محمد كره فقط»[1].

وقال أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي : «أي لا ينذروا لغير الله، ولا يطوفوا بغير البيت العتيق، فلا يجوز النذر للأولياء ولا للصالحين ولا الطواف بقبورهم كما يفعله الجاهلون بقبر الجيلاني، والحسين، والبدوي، والدسوقي، وغيرهم فإن هذا

---

(١) المجموع ٨/ ٤٧١.

شرك لا مرآء فيه، وكثير من المبتدعين الجاهلين ينذر للصالحين، وبعضهم يرسل أموالاً . . للسدنة ولتعمير القباب كما يفعل ذلك الكثير من الهنود والباكستانيين بنذرهم لعبدالقادر الجيلاني أموالاً طائلة، وإرسالهم إلى ضريحه أموالاً وافرة، هذا ممن زعم أنه من أهل السنة وأما شيعة الهنود والباكستانيين والإيرانيين فإنهم ينذرون أموالاً بقبور أهل البيت في النجف وكربلاء وخراسان وقم، ويشدون الرحال من مختلف الأقطار إلى تلك القبور للطواف بها، والاستغاثة بساكنيها وطلب قضاء الحاجات وتفريج الكربات مما لايقدر عليه إلا خالق الأرض والسماوات، وكذلك لايجوز النذر لقبور الأولياء والصالحين، فكذا لايجوز الوقف من بيوت وعقار على قبورهم، فمن نذر لغير الله فلا يجب عليه الوفاء، بل يستغفر الله، ويتوب إليه، ويأتي بالشهادتين لأنه مرتد

إن علم أن النذر لغير الله شرك، ومن وقف عقاراً أو حيوانـاً على قبور الأولياء فوقفه باطل، أو وصَّى لها فوصيتـه باطلة، وذلك العقار أو الحيوان لازال على ملك صاحبـه، نسـأل الله لنا ولهم التوفيق. **وقول بعضهم**: إن النـذر لله والثـواب للولي كلام باطـل وضلال عاطل فأيُّ شيء أدخل الولي هنا؟! إن كان قصده الصدقة فليتصدَّق على الفقراء عن نفسه وعن أبويه وأقاربه، وما يدريه بأن صاحب هذا القبر ولي! والأمور بخواتيمها فقد يكون ظاهره صديقاً، وباطنه زنديقاً، ويظهر كذبهم وضلالهم أنهم يأخذون الأغنام ويذبحونها عند القبر، فإذا أنكرت عليهم قالوا الذبح لله والثواب للولي، **وليس القصد من هذا** إلا التلبيس وقلب الحقـائق، وهم لم يقصـدوا إلا الولي على أن العلماء قد صرَّحوا أن لايذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله للحديث عن ثابت بن الضحّاك قال: «نذر رجل

أن ينحر إبلاً ببوانة فسأل النبي ﷺ، فقال: «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا، فقال رسول الله، ﷺ: «أوف بنذرك، فإنه لا وفاء للنذر في معصية الله، ولا فيما لايملك ابن آدم»[1] . . . . . »[2].

وقد أجاب أحمد بن حجر آل بوطامي الشافعي عن شبهات القبورية وهي:

الأولى: قول بعض الجاهلين: إن هؤلاء - يعني القبوريين - يقرون بالخالق، ويعتقدون بشرائع الإسلام وبيوم الجزاء، وغاية ما هنالك أنهم يتوسلون

---

(١) أخرجه أبو داود كتاب الأيمان والنذور باب ما يؤم به من الوفاء بالنذر (٣/٦٠٧) ح(٣٣١٣) والبيهقي في السنن ١٠/٨٣ والطبراني في الكبيرح (١٣٤١) من حديث ثابت بن الضحاك وصححه الحافظ ابن حجر في تلخيص الحبير ٤/١٨٠.

(٢) تطهير الجنان ص٣١ - ٣٢.

بهؤلاء الصالحين، ولا يرضون بلقب الشرك، بل ينفرون منه، فكيف يمكن أن يقال: بأنهم مشركون؟

الثانية: أن المشركين كان كفرهم من أجل إنكارهم للربوبية لا من حيث صرف العبادة لغير الله مستدلين بقوله تعالى: ﴿**قالوا وما الرحمن**﴾[1] وبقوله تعالى: ﴿**وهم يكفرون بالرحمن**﴾[2].

أجاب بما يأتي:

جواب عن الشبهة الأولى: قال: فالجواب عن تسميتهم مشركين أن الكفر والشرك شعب وأنواع كما أن الإيمان له شعب، فإذا ماأتى بكثير من شعب الإيمان وأتى معه بشيء من شعب الشرك، فيقال له: مشرك، مثلاً لو صلّى وصام واعتقد بالرسالة والقيامة واتصف

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦٠.

(٢) سورة الرعد، الآية: ٣٠.

بالزهد ومكارم الأخلاق لكنه اعتقد في كوكب بأن له تأثيراً، أوأن بيده نفعاً أو ضرّاً، أو اعتقد في ملك أو رسول ما لايجوز اعتقاده إلا في الله فنسميه مشركاً، وأن أتىٰ بتلك الأعمال الصالحة، وإلا فما معنى كتاب الردة، ولا يلزم أن يحكم على أحد بكفر أو شرك إلا أذا أتى بجميع خصاله وأنواعه، وتوسلهم لاعتقادهم بأنهم مذنبون وهؤلاء أقرب عند الله فيوسطونهم بينهم وبين الإلـه، هذا هو شرك العرب بعينه... **وأما تشهدهم بالشهادتين** فهو منتقض بأعمالهم المنافية لهما: كالحدث بعد الوضوء وإقرارهم بالخالق لا يفيد لأن المشركين كانوا مقرين بالربوبية ولم يدخلهم في الإسلام. **وأما قول من يقول:** بأن مشركي العرب كانوا منكرين للبعث. **فالجواب:** أن هذا الاعتقاد من جملة المكفرات، والرسول، ﷺ، كفَّرهم وأباح دماءهم لأمور كثيرة، أعظمها عبادتهم للأوثان ومنها

إنكـــارهم للبعث، ولايقبـل من الإنسـان أن يؤمن ببعض ويكفــر ببعض، بل واجب عليه أن يذعن معتقداً بكل ماأتىٰ به القرآن وجاء به الرسول، ﷺ، ويعـمــل بهما، فمن آمن ببعض ولم يؤمن بالبعض الآخر فهو كافر، كما قال الله - تعالى - مخبراً عنهم: ﴿**ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخـذوا بين ذلـك سبيلاً**﴾ ولا ينفعهم مجرد النطق بكلمة الشهادتين حتى يعمل بمقتضاها من البراءة مما يعبد من دون الله، وصرف جميع العبادات كائنة ما كانـت إلى الله. . . ولكن هل يحكم على الشخص المعـين أو الطائفة المخصوصة المتلوثة بتلك الخصال المنـافية للتوحيد بالشرك والكفر؟ مع أنها مؤمنة بالله والرسول، وآتية بسائر الشرائع؟

الجواب: يقـال هذا العمـل شرك وكفـر، مثلاً كالسجـود للولي والـطواف بقبره أو النذر له، ولكن

الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة لا نبادرها بالتكفير بل الواجب تبليغها بآيات القرآن وأحاديث الرسول، ﷺ، المبينة للشرك والمحذرة عنه، وأن ليس لصاحبه نصيب من الجنة، وأن هذه الأعمال هي شرك فإذا أصر الشخص المعين أو الطائفة المخصوصة وعاندت ولم تقبل، فعند ذلك يحل عليها إطلاق الشرك أو عليه إن كان فرداً معيناً وليكن الشخص ذا تفرقة بين الشرك الأصغر والشرك الأكبر، كالرياء فإنه شرك أصغر، والسجود والنذر لغير الله أكبر. . . » فإن قيل يلزم من كلامكم تكفير الأكثرية من الأمة المحمدية حيث إنهم يعلمون ماتقولون بأنه شرك مثل النذر للأولياء والنحر لهم:

فالجواب :

أولا : أن القول بالعموم مغاير للقول بالخصوص.

ثانيا : غلبة الجهل، وقلة العلم بالتوحيد والسنة

المطهرة، ومعرفة الشرك وأقسامه وذرائعه في كثير من الأماكن والبلدان هو المانع من الحكم بالشرك على المعين إلا من بلغته النصوص وقامت عليه الحجة ثم أصر معانداً فذاك يحكم عليه بالشرك»[1].

الجواب عن الشبهة الثانية : أن الآية الأولى : فيها استفهام عن الرحمن، والاستفهام عن الشيء لايكون جحداً له، على أننا لو قلنا استفهام إنكاري فإنه إنكار للتسمية بالرحمن لا غير، كما يوضحه كتابه صلح الحديبية، **والآية الثانية** : فيها الكفر بالرحمن، والكفر بالشيء لايكون إنكاراً له تقول لمن فعل فعلاً كفرياً: كفر فلان، وهذا يدل على أنه منكر للرب، على أنه معارض بالآيات المنبئة عن اعترافهم بالربوبية»[2].

---

(١) العقائد السلفية بأدلتها النقلية والعقلية (ص٣٧ : ٤٠) .

(٢) المصدر السابق نفسه ص٤٤ .

ومن هنا يتبين لنا مدى تحذير علماء الشافعية من الشرك وعاقبته الوخيمة في الدنيا والآخرة، والله المستعان وعليه التكلان.

الخاتمـــــة

الحمــد لله الــذي أعــانني على الفــراغ من هذا الكتــاب، وإنما كان ذلك بمنه وفضله فله الحمد، ومن أهم النتائج المستفادة من هذا الكتــاب:

١ - أن كلام الشافعي ومتقدمي أصـحابه وكان قليلا فيما يتعلق بالبدع القبورية، وذلك لأنها لم تكن منتشرة في عهده، بخلاف المتأخرين من أتباعه الذين كثر كلامهم فى هذا البـاب.

٢ - أن كثيراً من علماء الشافعية لهم جهود مشكورة فى سد منافذ الشرك وحماية جناب الـتوحيد.

٣ - أن بدع القبور كانت وبــالا على كثــير من الناس حيث أوقعتهم فى الشرك الأكبر.

مـدى احتيــاط الشارع فى الحـفــاظ على

التـوحيد، وتحـريمه لكل الوسائل المفضية إلى الشرك ومنها ما يتعلق بتعظيم القبور.

٥ - **مدى إهانة الشرك للإنسان :** بتعبيده لغـير الله ، وإفساده لعقله بما يجيزه من الأساطير والخرافات .

وهـذا جهد المقل وأسأل الله - تعالى - أن يتقبله خالصاً لوجهه الكريم ، وعذراً للقراء عن أي تقصير، فالضعف سمة ابن آدم .

والله من وراء القصـد وهو حسبنا ونعم الوكيل وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهـرس الموضوعـات

الموضـــوع **الصفحـة**